«هلمَّ يا محافل المستقيمي الرأي لنبدِّد البوم للتذكار السنوي الذي للآباء المتوشحين بالله الذين من سائر المسكونة اجتمعوا في مدينة بقية الطيبة لان هؤلاء دحضوا آريوس الردي ذا الاعتقاد الكفري ورذلوه بحسن عبادة وسموه من الكنيسة الجامعة بوجب المجمع وعلَّموا الكل ان يعترفوا جهارًا بمساواة ابن الله في الجوهر والازلية قبل كل الدهور وضموا ذلك بتحرير وحسن عبادة في قانون الايمان فلذلك نزمن نحن اذًا ونقتفي اعتقاداتهم الالهية ونعبد الابن بتحقيق مع الاب والروح الكلي قدسه ثالوثًا متساويًا في الجوهر بلاهوتية واحدة»

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء النصرانيَّة في عهد الدولة العباسيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبَّاس (١٣٢–٦٥٦هـ = ٧٥٠–١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليه الآداب العربيَّة امسَّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيرًا من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيرًا منها. وها نحن في هذا الجزء ندوِّن ما وجدناهُ من ذلك متفرِّقًا في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

١ ابو قابوس الشاعر النصراني

﴿اصلهُ وجنسهُ﴾ لا نعلم عن اصل ابي قابوس وجنسهِ الّا القدر القليل الذي لا يروي غليلًا. وجدنا في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميّة (Ms de Paris, 2107, ff. 41) الذي عنوانهُ احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمّد البلوي انّ ابا قابوس كان اسمهُ عمرو بن سليمان وابو قابوس كنية. والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. وبهِ تكنى ابو قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المقريّة للادهميّ (Ms de Paris 3245, ff.) انّهُ كان حيريًا. وقد تصفّح هذا النسب في تحفة المجالس للسيوطي (ص ١٧٥) فسمّاهُ ابا قابوس الحميري وكان ينتمي الى بني شيبان

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ عاش ابو قابوس في عهد هارون الرشيد في اواخر القرن الثامن للميلاد ولم يؤرّخ لولادته ووفاته تاريخ. اما دينهُ فالنصرانيّة لا شك فيه كما صرّح كثيرون من المؤرخين منهم الشريشي في الحصة (ص ٣٣) قال: «وكان ابو قابوس الشاعر رجلًا نصرانيًا من اهل الحيرة» وبذا قال الشريشيّ في شرح مقامات الحريري (١: ٦٤) وابو بكر احمد البغدادي في تاريخ بغداد في مكتبة باريس (Ms, de Paris, 2128, ff. 80) وغيرهم

﴿اخبارهُ﴾ كان ابو قابوس شاعرًا منقطعًا الى البرامكة كالرقاشي الشاعر واشجع السلمي وجحظة البرمكي. وتقرّب بهم الى الخليفة هارون الرشيد. ومن اخباره ما رواهُ صاحب تاريخ بغداد ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ص ٨٣ من نسخة باريس) قال: «قال ابو قابوس النصرانيّ: دخلتُ على جعفر بن يحيى في يوم بارد فاصابني البرد فقال: يا غلام اطرح عليهِ كساء من أكسية النصارى. فطرح عليّ كساء من خزّ قيمتهُ الف دينار. (قال) فانصرفتُ الى منزلي فاردتُ ان اكتبَ في يوم عيدٍ فلم أُصِبْ لهُ في منزلي ثوباً يشاكلهُ فقالت لي بُنيّة لي: اكتب الى الذي وهبهُ لك حتى يرسل اليك بما يشاكلهُ من الثياب فكتبتُ اليهِ (من الطويل):

ابا الفضل لو أبصرتنا يومَ عيدنا ... رأيتَ مباهاةً لنا في الكنائس

فلو كان ذاك المِطْرَفُ الخزُّ جُبَّةً لَباهيتُ اصحابي بها في المجالسِ
فلا بُدَّ لي جُبَّةٌ من جِبابكم ومن طَيلَسانٍ من خيار الطَّيالسِ
ومن ثوبِ قُوهيٍّ وثوبِ غلالةٍ ولا بأسَ إنْ أتبعتَ ذاك بخامسِ
اذا تمَّت الاثوابُ في العيد خمسةٌ كفَتْك فلم تحتَج الى لبس سادسِ
لعمرُك ما افرطتُ فيما سألتُهُ وما كنتُ لو افرطتُ منهُ بآيسِ
وذاك لانَّ الشعرَ يَزْدادُ حمدُهُ اذا ما البلى أبلى جديد الملابسِ

قال فبعثَ اليهِ جعفر حين قرأ شعرَهُ بتخوتٍ خمسة من كل نوع تختاً.

وجاء في اخبار البرامكة للبلوي وفي شرح مقامات الحريري للشريشي (١ : ٦٤) انَّ يحيى بن خالد كان اذا وعد انجز وينقدُ سريعاً ما وعد. ومن اقوالهِ : من لم يَبِتْ مسروراً بوعدٍ لم يجد للصنيعة مطعماً. فدخل عليهِ ابو قابوس النصراني فانشدهُ (من البسيط) :

رأيتُ يحيى أتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ يأتي الذي لم يأتهِ أحدُ
يَنْسى الذي كان من معروفهِ ابداً الى الرجالِ ولا يَنْسى الذي يَعِدُ

فاجازه يحيى بجائزةٍ سنيَّة وقضى حوائجهُ

﴿ديوانهُ وشعرهُ﴾ لم نجد في مخطوطات المكاتب ولا في كشف الظنون للحاج خليفة ذكراً لديوان صنَّفهُ ابو قابوس الحيري. وانَّما جاء في فهرست ابن النديم (ص ١٦٣) في باب اخبار العلماء وما صنَّفوهُ من الكتب ما حرفهُ : « ابو قاموس الشيباني مائة ورقة » يريد انَّ ديوانهُ يبلغ مائة ورقة. اما قولهُ « ابو قاموس » فتصحيف « ابو قابوس » كما يظهر. ومنهُ يستدلُّ على انهُ كان من بني شيبان الذين كانوا يحتلّون الحيرة

ومن شعرهِ ما رواهُ ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني (٣ : ١٢٦ - ١٢٩) ذكر مهاجاة ابي قابوس العتابي وتحامل ابي العتاهية على ابي قابوس قال : لمَّا ماجى ابو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي جعل ابو العتاهية يشتم ابا قابوس

ويضع منهُ ويفضّل التنابي عليهِ فبلغهُ ذلك فقال فيهِ (مجزوء الكامل) :

قُلْ للمُكَنّي نفسَهُ متخيّرًا بمتاهِيَهْ
والمُرسلُ الكلِمَ القبيـــحَ وعَنْهُ أُذنٌ واعِيَهْ
ان كنتَ سِرًّا سوأتني او كان ذاكَ علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا ل وامُّ زيدٍ زانيَهْ

يعني امّ ابي العتاهية وهي امّ زيـد بنت زياد فقيل لهُ : اتشتمُ مسلماً ؟ فقال : لم اشتمه وانّما قلت :

فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ ومن عَنينا زانيهْ

وافضلُ من ذلك قولهُ لمّا اوقع هارون الرشيـد بجعفر قال البغداديّ : « ومـا انقضت الأيام حتى قُتل جعفر بن يحيى وصُلب عند جسر بغداد فرأوا ابا قابوس تحت جذعهِ يزمزمُ فاخذهُ صاحب الحرَس وادخلهُ على الرشيد فقال لهُ : ما كنت قائـلاً تحت جذع جعفر ؟ قال : اتتعجّبني منك للصدق ؟ قـال : نعم . قال : ترحّمتُ والله عليهِ . ثمّ انشدهُ يشفع عنـدهُ للفضل بن يحيى (من الوافر) :

أمينَ اللهِ هَبْ فَضْـلَ بنَ يحيى لنفسك ايهـا الملـكُ الهُمامُ (١
وما طلَبي اليك العفوَ عنهُ وقد قَعَدَ الوشاةُ بهِ وقـاموا (٢
أرى سببَ الرضى عنـهُ قويًّا على اللهِ الزيادَةُ والتّمامُ
نذرتُ عليهِ فيهِ صيامَ شهرٍ فان تَمّ الرضى وجبَ الصيـامُ
وهـذا جعفرٌ بالجسر تحو محـاسنَ وجهـهِ ريحٌ قَتـامُ
اقولُ لـهُ وقتُ لـديهِ نصبـاً الى ان كاد يفضحني القيامُ

١) ويروى : أيها الفضلُ الهمامُ
٢) ويروى : وقد قعد الرشاةُ بنا

أمـا واللهِ لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفـةِ لا تنـامُ
لَطُفْنا حول جِذْعِكَ واستلَمْنا كما للناس بالحَجَر استلامُ (١
فـا شاهـدنا قبلك يا ابنَ يحيى حُسامـاً فَلَّـهُ قبـلًا حسامُ (٢
عُقابُ خليفـةِ الرحمـان فخرٌ لمن بالسيفِ عـاقبـهُ الحِمامُ (٣
على الدنيا وساكنها جميعاً لـدولـةِ آل برمـكٍ السلامُ

قال ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣): وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنـه وروِيِّه ومعناهُ احدهمـا لاشجع السُّلَمي والآخر لسليمان (الاعمى) اخي (مسلم بن الوليد) صريع الغواني فالناس فيه مختلفون وهذه صحّتهُ. (قال) فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامر العظيم من الشفاعة والرثاء.

واردف البغدادي قائلًا: «ولمّا سمع هارون الرشيد هذه الابيات اطرق ملياً ثمّ قال: رَحِمَ اللهُ يحيى جميلًا فما اجمل به. يا غلام نادِ بالامان الى قـابوس وألّا يُفتّش ». ووصّى حاجبهُ ألّا يحجبهُ عنهُ

هـذا ما رواهُ ابن الرشيق وابو بكر البغداديّ. وقـد ذكر في الاغـاني (١٥: ٣٦) اربعة من اواخر ابيات القصيدة الميميّة السابقة للرقاشي الفضل بن عبد الصمد الشاعر. وروى عنهُ انهُ قـال تلك الاشعار عند جـذع جعفر وان الرشيد احضره كما سرّ الخبر عن ابي قابوس ثمّ سألهُ: وكم كان يجري عليك؟ قال: الف دينار في كل سنة. قال: فانّا قد اضعفناها لك

وقصيدة ابي قابوس مرويّة ايضاً في كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام من مخطوطات ليدن (Ms Leiden, CCCCXI ff. 107) لعميد الدين ابن الفنانم مسلم

---

١) ويروى: بالركن استلامُ

٢) رواهُ في العُمْدة:

وما ابصرتُ قبلك يا بن يحيى حسامًا قدَّهُ السيفُ الحسامُ

٣) ويروى: عانقهُ الحمامُ. ويروى: اوضعهُ الحمامُ ويروى: حسامًا حتفهُ السيفُ الحمامُ

بن محمود الشيرازي أما رواية القصيدة لسليمان الاعمى فوردت في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣: ٣٢) على الصورة الآتية نذكرها تتمّة للافادة :

هذا الخالونَ عن شَجْوى وناموا ... وعيني لا يُلائمُها منامُ
وما سَهَري بأني مستهامٌ ... اذا سهرَ المُحِبُّ المُستهامُ
ولكنَّ الحوادثَ أرّقتني ... فبي أرَقٌ اذا انقطعَ الغَمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضرامُ نارٍ ... وللعَبَراتِ من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعًا ... ودولة آلِ برمكَ السلامُ
جزعتُ عليك يا فَضْل بن يحيى ... ومن يجزع عليك فلا يُلامُ
هوَتْ بك انجمُ المعروفِ فينا ... وزلَّ بفقدك القومُ اللئامُ
وما قلّمَ الالهُ اخاك لكن ... قضاه كان سَبَبَهُ اجترامُ
عِقابُ خليفةِ الرحمان فخرٌ ... لمن بالسيف صبَّحهُ الحمامُ
عَجِبتُ لما دها فَضْل بن يحيى ... وما عجبي وقد غضبَ الإمامُ
جرى في الليل طائرُهم بنَحْسٍ ... وصَبَّحَ جعفرًا منهُ اصطلامُ
ولم أرَ قبل قَتْلك يا ابن يحيى ... حسامًا قدَّهُ السيفُ الحسامُ
بَرَتْ بن الحادثاتُ لهُ سهامًا ... فنالَتْهُ الحوادثُ والسهامُ
وانَّ الفضل بعد رداء عزٍّ ... غدا ورداؤهُ دالٌ ولامُ
فقل للشامتين بهِ جميعًا ... لَكَمْ اشالها عامٌ فعامُ
امينَ الله في الفضل بن يحيى ... رضيعك والرضيعُ لهُ ذِمامُ
ابا العبّاسِ انَّ لكل همٍّ ... وان طال انقراضٌ وانصرامُ
ارى سَبَبَ الرضاء لهُ قَبولٌ ... على الله الزيادةُ والتمامُ
وقد آليتُ معتذرًا بنَذْرٍ ... ولي فيما نذرتُ بهِ اعتزامُ
بان لا ذقتُ بعدكمُ مُدامًا ... ودوني أن يناولني المدامُ
أأنعمُ بعدكم وأقرُّ عينًا ... عليَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وفضلٌ ... اسيرٌ دونهُ البلد الشآمُ
وجعفر ثاويًا بالجسر بَلَّتْ ... تعاشتهُ السمائمُ والقتامُ
أُمرُّ بهِ فيظلمني بكائي ... ولكنَّ البكاء لهُ اكتتامُ
اقول وقتُ منتصبًا لديهِ ... الى أن كاد يفضحني القيامُ

اما والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ
لَسَلَّمنا وكنّا جِئْتُ عندكَ واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ

وقد روى في جمهرة الاسلام (3 .f 63) رثاء آخر لابي قابوس قالهُ في اخيهِ سعيد ويروى هناك انَّ الاصمعيَّ فضَّلهُ على شعر محمَّد بن مناذر بل على شعر جرير والفرزدق والاخطل اوَّلهُ (من الطويل):

فما أُمُّ سَقْبٍ اودَعتهُ قرارةً من الارض وانساخت لتَروى وتهجعا

الى ان قال بعد وصف حزن الناقة على حوارها بتسعة عشر بيتاً:

بأوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقاً عليك ولكن لم أجدْ عنك مدفعا
فلو أنَّ شيئاً في لقائك مُطمعٌ صبرتُ ولكن لا ارى فيهِ مُطمعا
فأُقسمُ لا تنفكُّ نفسي شجيَّةً عليك ووجهي حائلَ اللون أسفعا
وقد كنتُ ألحي مَنْ يبكي لمصيبةٍ فها انا ذا قد صرتُ ابكي وأجزعا
وقد قرَّعتني الحادثاتُ وبَثُّها بِشَكْلك حتى لم اجد لي مقرعا
وقد كنتُ مغبوطاً وقد كنتُ مُصعَباً فاصبحتُ مرجوماً لفقدك أخضعا
وقد كنتَ لي أنفاً حمياً فغالني بك القَدَرُ الجاري فأصبحتُ أجدعا
فلو انَّ طوداً من تِهامةَ ضافهُ من الوَجد ما قد ضافني لتَضعضعا
فيا سيِّداً قد كان للحيِّ عصمةً ويا جَبلاً قد كان للحيِّ مَفزعا
رُزيتُ بهِ خير الرزايا ولم أجدْ لهُ خلَفاً في الغابرين فأقنعا
وأبيضَ وضَّاحِ الجبين كأنَّهُ سنا قَمَرٍ أوفى مع العشر أربعا
قطيعَ لسان الكلب عن نَبْح ضيفهِ موطَّأَ اكنافِ الرواقِ سَميدعا
ومجتنباً للقول في غير حينهِ حِفاظاً وقوَّالاً اذا قال مصقعا

يصونُ ببَذْل المالِ نفساً كريمةً وعرضاً حمى عن كل سوء ممنّعا
فتى الخير لم يهجُم بغَدْرٍ ولم يُعَبْ بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ الى الذمّ إصبعا
ولا غابَ إلّا نافسَ القومُ بينهم ولا آبَ إلّا كان للحيّ مِقنَعا
وما زال حمّالًا لكلّ عظيمةٍ الى ان قضى من نحبهِ مذ ترعرعا
فتى كان لا يدعو الى الشرّ نفسهُ فان جاءهُ الشرُّ امتطاهُ فأوضعا
ويركبُ صعبَ الامر حتى يَرُدّهُ على عَقِبٍ منهُ ذَلولًا موقّعا
رأتهُ المنايا خيرَتا فاختَرْمنَهُ وكنَّ بتعجيلِ الأخابر سُرَّعا

ومنها :

تَرى الناسَ ارسالًا اليهِ كأنّما تضمّن ارزاقَ العُفاةِ لهم معا
فمن صادرٍ قد آبَ بالريّ حامدٍ ومن واردٍ شاحٍ بفيهِ ليَكْرعا
ويوماً تراهُ يسحبُ الوَشْي غادياً ويوماً تراهُ في الحديد مقنّعا
اذا نال من اقصى مدى المجد غايةً سما طالبًا من تلك اسني وأرفعا
أَجلّ عن العُور الهواجر سمعَهُ ووقّرهُ مِنْ ان يُقالَ فيسمعا
له راحةٌ فيها حباً لصديقهِ وأخرى سقَتْ أعداءهُ السمّ مُنقعا
فما فُجع الاقوامُ من رُزْئها لكَ بأعظمَ ممّا قد رُزئتَ وأفظعا
ومن طاب نفساً عن اخٍ لوداعه فما طبتُ نفساً عن اخي يومَ ودّعا
فوا عجباً للارض كيف تأَلّبتْ عليهِ ووارَتْ ذلك الفضلَ اجمعا
ويا بؤس هذا الدّهرِ من ذي تلوّنٍ وذي فجَعاتٍ ما أَفظَّ وأفظعا

هذا ما انتخبنا من هذا الرثاء وهو يبلغ ٩٠ بيتاً

(له بقيّة)